عدد خاص
في الخط العربي

المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية

المجلد الخامس عشر - العدد الرابع ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

٤

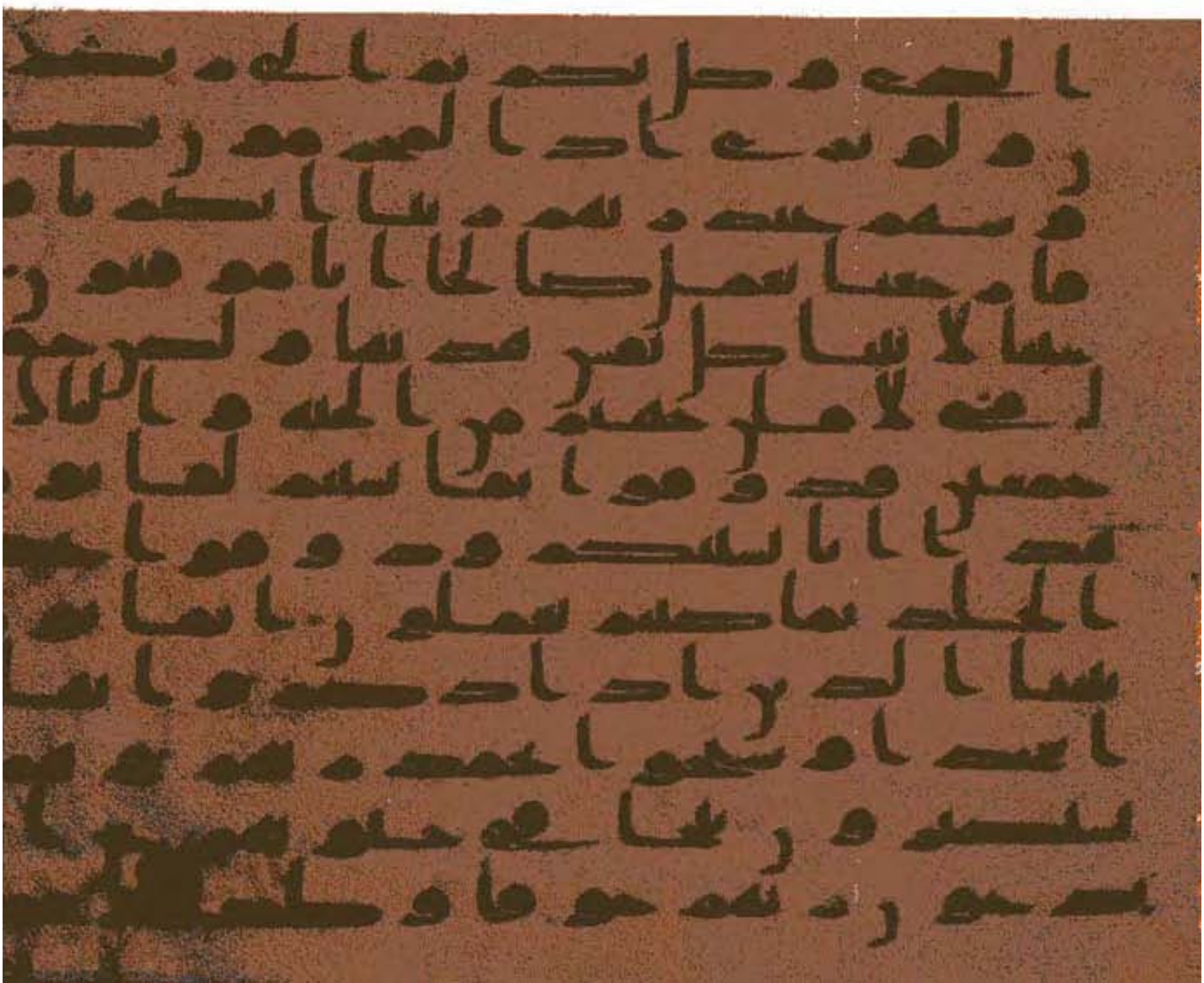

موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة

(بحث لغوي)

الدكتور
غانم قدوري حمد
كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

ينقسم البحث في الكتابة العربية الى قسمين هما : بحث فني جمالي ، يعنى بتحسين اشكال الحروف واظهارهـا بشكل جميـل متناسـق ، يعجب العين ويرضي الذوق ، ويدخـل في ذلـك انواع الخطوط العربية من الكوفي والنسخي ، وما يتفرع عنهما . وبحث لغوي، يعنى بدراسة العلاقة بين الرمز المكتوب والصوت المنطوق ، ويعنى ببيان مقدار مطابقة المنطوق للمكتوب ، وتحديد مظاهر القصور في الكتابة عن تمثيل المنطوق تمثيلا كاملا. ويغلب ان يسمى القسم الاول بعلم الخط ، والقسم الثاني بعلم الاملاء ، وقديما سمي ايضا بالهجاء .

وهذا البحث يدخل في الدراسـة اللغويـة التاريخية للكتابة العربية ، من خلال تتبع النصوص القديمة والوقوف على ظواهرها الكتابية ، متمثلة برسم المصحف الذي تميز بنظام إملائي خـاص ، مع موازنة ذلك النظام بالنقوش العربية المكتوبـة على الحجر التي ترجع الى العصر الذي يرجع اليه رسم المصحف ، للوقوف على مقدار العلاقة بين النظام الاملائي المستعمل في رسم المصحف، والنظام الاملائي المستخدم في النقوش العربية .

ان هذا البحث يهـدف الى توضيح موقـع (رسم المصحف) في تاريخ تطور الكتابة العربيـة ، وهو يعتمد في ذلك على حقيقة تتمثل في ان رسم المصحف حمل خصائص الاملاء العربي في الوقت الذي كتب فيه المصحف ، وان النصوص العربية التي كتبت في تلك الفترة تحمل الخصائص الاملائية نفسها التي حملها رسم المصحف ، كما يتضح من النقوش العربية التي كتب بعضهـا قبل العصـر الاسلامي وكتب بعضها الآخر في السنوات القريبة من عصر كتابة المصحف .

ان الربط بين رسـم المصحف والنصوص العربية الاخرى المكتوبة في وقت كتابة المصاحف سوف يساعد في فهم الظواهر الاملائية التي تميز بها رسـم المصحف على نحو اكثـر صلة بواقـع الكتابة ، كما ان هذا الربط سوف يساعد في تفهم الاصول التاريخية لكثير من خصائص الاملاء العربي

الذي نكتب به اليوم وكتب به من قبلنا منذ قرون طويلة .

ان علماء العربية المتقدمين كانوا اذا ذكروا رسم المصحف ينصون على انه يلتزم به في كتابة المصاحف ولكن لا يقاس عليه ، اي لا يستخدم في ماسواها . فقال ابن درستويه (عبدالله بن جعفر ت ٣٤٧هـ) في كتاب الكتاب : « ووجدنا كتاب الله عز وجل ـ لا يقاس هجاؤه ولا يخالف خطه ، ولكنه يتلقى بالقبول على ما اودع المصحف ... »(١) . وذكر السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر ت ٩١١هـ) في كتابه همع الهوامع ان ابن درستويه قال : « خطان لا يقاس عليهما خط المصحف والعروض »(٢) .

وانتهى الامر بعلماء العربية الى القول بوجود ثلاثة نظم كتابية في العربية ، على نحو ماقال ابو حيان الاندلسي (محمد بن يوسف ت ٧٥٤ هـ) : « فقد صار الاصطلاح في الكتابة على ثلاثة انحاء : اصطلاح العروض ، واصطلاح كتابة المصحف ، واصطلاح الكتاب في غير هذين »(٣) .

ان هذا التقسيم ينطبق على واقع الكتابة في الظاهر فقط ، لان رسم المصحف يمثل مرحلة في تاريخ الكتابة العربية ، لا نظاما مستقلا ، ويشارك رسم الصحف في ذلك كل ما كتب بالعربية في الفترة التي يرجع إليها رسم المصحف ، وهذا ليس تقريرا مسبقا لنتائج البحث بقدر ماهو تحديد لوجهته وبيان لمنهجه . وسوف اسلك في البحث خطة تشتمل على ثلاثة مباحث ، هي :

المبحث الاول : رسم المصحف : اصوله التاريخية وخصائصه الاملائية .

المبحث الثاني : النقوش العربية القديمة : تاريخها وقراءتها .

المبحث الثالث : الظواهر الاملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة .

(١) كتاب الكتاب ص ١٦ .
(٢) همع الهوامع ٢٤٣/٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ٢٤٣/٢ .

المبحث الاول

رسم المصحف : اصوله التاريخية ونظمه الاملائية

تعني عبارة (رسم المصحف) طريقة كتابة كلمات القرآن الكريم في المصحف ، كما كتبها اصحاب النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصورة المعروفة للمصحف وطريقة رسم الكلمات فيه ترجع الى عصر الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وان كانت كتابة القرآن قد تمت منذ زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم .

وقبل ان اوضح خصائص رسم المصحف من الناحية الاملائية سوف اتتبع تاريخ كتابة القرآن الكريم حتى يقف القارىء على الاصول التي يمتد اليها رسم الكلمات في المصحف ، ويعرف الحقبة الزمنية التي يرجع اليها .

المطلب الاول : الاصول التاريخية لرسم المصحف :

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي شجع كتابة القرآن ، وكانت وسائل الكتابة في بلاد الحجاز آنذاك بدائية الى حد كبير ، ولكن ذلك لم يصرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كتابة القرآن ، إدراكا منه لاهمية الكتابة العظيمة في حفظ نص القرآن . لكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكتب القرآن بيده ، بل كان يستعين بعدد من الصحابة الذين اتقنوا الكتابة، كانوا يسمون بكتاب الوحي(٤) .

وكان زيد بن ثابت الانصاري الزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ(٥) فكان رسول الله اذا نزل عليه الوحي يقول : « ادع لي زيدا ، وليجيء باللوح والدواة »(٦) . وقال زيد بن ثابت : « كنت جار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان اذا نزل الوحي ارسل إلي فكتبت الوحي »(٧) .

(٤) انظر عن كتاب الوحي : ابن عبدالبر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٦٨/١ ، وابن حجر : فتح الباري ٢٢/٩ ، ونصر الهوريني : المطالع النصرية ص ١٢-١٤.
(٥) ابن عبدالبر : الاستيعاب ٦٨/١ .
(٦) البخاري : الجامع الصحيح ٢٢٧/٦ .
(٧) ابن ابي داود : كتاب المصاحف ص ٢ .

وجاء في كتب الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان كلما نزل عليه من القرآن شيء دعا بعض من يكتب له ، فيامر بكتابته، ويقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يعينها لهم[٨] . وبذلك تمت كتابة القرآن في وقت نزوله، لكنه كان مفرقا في القطع التي كتب عليها ولم يجمع في كتاب واحد . وقد ذكر الطبري في تفسيره أن المحدث التابعي الكبير محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٥هـ) قال : « قبض رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ ولم يكن القرآن جمع في شيء ، وانما كان في الكرانيف والعسب »[٩] .

ونقل عدد من المؤرخين والمحدثين رواية توضح مقدار عناية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكتابة القرآن وحرصه على ضبط مايكتبه كتبة الوحي ، فقد جاء في تلك الرواية عن زيد بن ثابت انه قال : « كنت اكتب الوحي عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يملي علي ، فإذا فرغت قال اقراه فاقراه فإن كان فيه سقط اقامه ، ثم اخرج به الى الناس »[١٠] .

* * *

وقد تم جمع القرآن في صحف منظمة يضمها لوحان أو دفتان، على شكل كتاب، بعد مدة يسيرة من وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تتجاوز السنة ، فبعد ان ولي الخلافة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حدثت حروب الردة ، التي انتهت بدخول اهل الجزيرة العربية كلها في الاسلام ، لكن ذلك ادى الى استشهاد عدد من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت معركة اليمامة اكثر تلك الحروب ضراوة ، وكان ثمن النصر فيها مئات الشهداء ، كا من بينهم نحو خمسين من حملة القرآن[١١] .

(٨) انظر : احمد بن حنبل : المسند ٢٩٩/١ و ٤٩٨ . وابن ابي داود : المصاحف ص ٢١ ، وابو شامة : المرشد الوجيز ص ٣٢ ، والزركشي : البرهان ٢٣٤/١ ، والسيوطي : الاتقان ١٧٢/١ .

(٩) جامع البيان ٢٨/١ ، وانظر : السيوطي : الاتقان ١٦٤/١ . والكرانيف : اصول السعف الثلاث العراض، الواحدة كرنافة . والعسب جمع عسيب ، وهو من السعف فويق الكرب لم ينبت عليه الخوص . (انظر : ابن منظور : لسان العرب ٢٠٧/١١ كرنف ، و ٨٩/٢).

(١٠) البسوي : المعرفة والتاريخ ٣٧٧/١ ، والصولي : ادب الكتاب ص ١٦٥ ، والسمعاني : ادب الاملاء والاستملاء ص ٧٧ .

(١١) انظر : خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ٩٠/١ .

إن المسلمين لما اصيبوا باليمامة فزع أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الى القرآن ، وخاف أن تهلك منه طائفة ، وانما كان في العسب والرقاع ، فاقبل الناس بما كان معهم وعندهم ، حتى جمع على عهد ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ[١٢] .

وكان زيد بن ثابت ، كاتب الوحي ، هو الذي تحمل العبء الاكبر لجمع القرآن ، وقد نقل علماء الحديث واهل التاريخ رواية مفصلة عن زيد بن ثابت ، تحكي قصة جمع القرآن ، لعل في إيرادها غناء عن تكلف القول في موضوعها ، وهي[١٣]:

« قال زيد بن ثابت : ارسل إلي ابو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده، قال ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ إن عمر اتاني، فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني اخشى ان يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا ان تجمعوه ، وإني ارى ان تامر بجمع القرآن . قال ابو بكر : قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هو والله ، خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح صدري لذلك ، ورايت الذي رأى عمر .

قال زيد : قال ابو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان بأثقل علي مما امرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ـ صلى الله عاية وسلم ؟ قال ابو بكر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر ، رضي الله عنهما .

قال زيد : فقمت فتتبعت القرآن ، اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال[١٤]

(١٢) ابو شامة : المرشد الوجيز ص ٦٤ .

(١٣) انظر : البخاري : الجامع الصحيح ٨٩/٦ و ٢٢٥/٦ و ٩٢/٩ ، وابن ابي داود : كتاب المصاحف ص ٦ـ٨ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٧ ، والداني : المقنع ص ٣ ، وابو شامة : المرشد الوجيز ص ٤٨ ، والزركشي : البرهان ٢٣٣/١ ، والسيوطي : الاتقان ١٦٥/١ .

(١٤) ذكر ابن حجر (فتح الباري ١٥/٩) : ان الواو في قوله: (وصدور الرجال) بمعنى (مع) ، اي اكتبه من المكتوب الوافق للمحفوظ في الصدور .

حتى وجدت آخر سورة التوبة « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم » حتى خاتمة براءة ، مع خزيمة بن ثابت الانصاري لم أجدها مع أحد غيره(١٥)، فالحقتها في سورتها .

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر » .

وكان ترتيب الآيات في السور ، وتتابع السور في المصحف قد جرى على نحو ماعرف الصحابة ذلك من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) رحمه الله : « إنما ألف القرآن على ماكانوا يسمعون من قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم »(١٦) . والتاليف هنا معناه الترتيب ، وفي اللغة : الفت الشيء تاليفا ، اذا وصلت بعضه ببعض ، وجمعت بعضه الى بعض(١٧) . وهكذا حفظ نص القرآن من النقصان والنسيان ، وكتب على نحو ما كتب في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،لكنه كتب مجموعا بعد أن كان مفرقا ، ولم يامر ابو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا من قبل(١٨) .

وكان جمع القرآن من جلائل الاعمال التي ازدان بها عهد الصديق ، ان لم يكن اجلها(١٩) . وقد قال علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ في تقدير ذلك العمل : « رحم الله ابا بكر ، كان اول من جمع القرآن بين اللوحين » . ، وجاء في رواية اخرى انه قال : « اعظم الناس اجرا في المصاحف ابو بكر ، فانه أول من جمع القرآن بين اللوحين »(٢٠) .

* * *

وبعد ما يقرب من خمسة عشر عاما من تاريخ جمع القرآن في الصحف ، قام عدد من الصحابة بنقل عدة نسخ من الصحف ، ارسلت الى الامصار الاسلامية خارج المدينة المنورة . لينقل منها الناس مصاحفهم . ففي خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وبعد اتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم كثيرا ، ظهرت بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكريم على نحو اقلق علماء الصحابة واولي الامر منهم ، فما كان من الخليفة إلا ان يامر بنسخ المصاحف من الصحف ونشرها في البلدان ، لتكون المصاحف التي بايدي المسلمين واحدة في الترتيب والرسم .

والرواية القديمة لنسخ المصاحف ، كما نقلها البخاري وغيره من المحدثين والمؤرخين ، هي ان انس بن مالك ، صاحب رسول الله وخادمه ، قال: « إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع أهل العراق . فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا امير المؤمنين ، ادرك هذه الأمة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي إلينا بالصحف ، ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك، فارسلت بها حفصة الى عثمان . فامر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا .

حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، فارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق »(٢١) .

وبذلك العمل الكبير والمهم في تاريخ القرآن اخذ المصحف شكله الموحد في الرسم والترتيب ، وصار كل مصحف ارسله الخليفة من المدينة إماما يقتدي به أهل البلدة التي ارسل اليها ومن حولها ، وصارت تلك المصاحف تعرف بالمصاحف العثمانية،

---

(١٥) قوله : (لم اجدها مع احد غيره) اي مكتوبة . وذلك لان كثيرا من الصحابة كانوا يحفظون القرآن ، وكان زيد بن ثابت احدهم .

(١٦) الداني : المقنع ص ٨ ، وابو شامة : المرشد الوجيز ص ٤٦ .

(١٧) ابن منظور : لسان العرب ٢٥٢/١٠ . مادة الف .

(١٨) انظر : ابن حجر : فتح الباري ١٢/٩ .

(١٩) محمد حسين هيكل : الصديق ابو بكر ص ١٦ .

(٢٠) ابي داود : كتاب المصاحف ص ٥ .

(٢١) البخاري : الجامع الصحيح ٢٢٦/٦ . وابن ابي داود : كتاب المصاحف ص ١٨ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٧ ، والداني : المقنع ص ٥ ، وابو شامة : المرشد الوجيز ص ٤٩ ، وابن الاثير : الكامل ٥٥/٣ ، والزركشي : البرهان ٢٣٦/١ ، وابن خلدون : العبر ١٠١٩/٢ ، والسيوطي : الاتقان ١٦٩/١ .

نسبة الى سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لانه هو الذي امر بنسخها وارسالها الى البلدان خارج الجزيرة العربية . وصار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني ، وتلك المصاحف هي اصل لكل المصاحف الموجودة اليوم .

وقد حافظ المسلمون على رسم الكلمات في المصحف كما وقعت في المصاحف العثمانية الاولى، حتى وان كان في بعضها مخالفة لما اصطلح عليه علماء العربية بعد ذلك من قواعد إملائية ، وقد سئل الامام مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) : « ارايت من استكتب مصحفا اليوم اترى ان يكتب على ما احدث الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا ارى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الاولى » . قال ابو عمرو الداني : ولا مخالف له في ذلك من علماء الامة(٢٢) .

والى جانب حرص المسلمين على المحافظة على الرسم العثماني في كتابة المصاحف فان عددا كبيرا من العلماء الفوا كتبا خاصة لوصف طريقة كتابة الكلمات في المصاحف العثمانية ، منذ بدء عصر التدوين في العلوم الاسلامية(٢٣) . لعل من اشهرها كتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار) لابي عمر وعثمان بن سعيد الداني الاندلسي (ت ٤٤٤ هـ)(٢٤) .

ويستطيع الدارس اليوم ان يقف على صورة رسم الكلمات في المصاحف العثمانية من خلال مصدرين اثنين : الاول المصاحف القديمة التي تحتفظ بعض المكتبات العالمية بنسخ منها ، والثاني الكتب المؤلفة في رسم المصحف ، وهي تقدم وصفا دقيقا ومفصلا لطريقة رسم الكلمات في المصاحف الاولى ، يعتمد على المعاينة المباشرة والنظر في تلك المصاحف .

ويتضح من العرض السابق ان رسم الكلمات في المصاحف العثمانية يرجع في الاصل الى ما كان مرسوما في الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهذه ترجع ايضا الى ماكتب في الرقاع بين يدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسم المصحف بذلك يمثل الكتابة العربية في عصر ظهور الاسلام ، وهو يحمل خصائص تلك الكتابة ، على ما سيتضح من الموازنة بين رسم المصحف والكتابات العربية القديمة ، ان شاء الله . وقبل ان نعقد تلك الموازنة سوف اوضح خصائص رسم المصحف الإملائية .

المطلب الثاني : خصائص رسم المصحف الإملائية

اتخذ المؤلفون في رسم المصحف في وصف هجاء الكلمات في الرسم العثماني اتجاهين ، الاول: يقوم على جمع الامثلة المتشابهة في الموضوع الواحد في فصل معين ، وبذلك يتالف الكتاب من عدد من الفصول التي تضم اوجه الرسم كافة ، ومن امثلة هذا الاتجاه من كتب الرسم كتاب (هجاء مصاحف الامصار) لابي العباس احمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ)(٢٥) ، وكتاب (البديع في معرفة مارسم في مصحف عثمان بن عفان) لابي عبدالله محمد بن يوسف بن معاذ الجهني (ت في حدود ٤٤٢هـ)(٢٦). وكتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار) لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)(٢٧). والاتجاه الثاني : يقوم على تتبع الكلمات التي رسمت بطريقة لا تطابق النطق . ويتم ذكرها بحسب ورودها في السور ، فيبوب الكتاب الذي يسير في هذا الاتجاه على السور مرتبة على ترتيبها في المصحف ، واشهر كتب هذا الاتجاه كتاب (التنزيل في هجاء المصاحف) لابي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦ هـ)(٢٨) .

وقد حصر بعض العلماء معرفة رسم المصحف في خمسة انواع او فصول تجمع كل ما جاء من كلمات مكتوبة على نحو يخالف اللفظ ، وهي كما قال ابن وثيق الاندلسي (ابراهيم بن محمد بن عبدالرحمن ت ٦٥٤هـ) : « اعلم ، وفقك الله ، ان رسم المصحف يفتقر الى معرفة خمسة فصول عليها مداره :

---

(٢٢) الداني : المقنع ص ٩ ـ ١٠ .

(٢٣) انظر اسماء اولئك العلماء واسماء كتبهم في كتابنا : رسم المصحف ص ١٦٩ ـ ١٨٤ .

(٢٤) طبع ثلاث مرات ، الطبعة الاولى في استانبول سنة ١٩٣٢ بتحقيق اوتو برتزل ، والثانية في دمشق سنة ١٩٤٠ بتحقيق محمد احمد دهمان ، والثالثة في القاهرة سنة ١٩٧٨ كتب عليها انها بتحقيق محمد الصادق قمحاوي .

(٢٥) قام بتحقيقه محيي الدين عبدالرحمن رمضان ، وقد نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، المجلد ١٩ ، الجزء الاول ١٩٧٣ .

(٢٦) مخطوط ، وقد قمت بتحقيقه .

(٢٧) انظر هامش (٢٤) من هذا البحث .

(٢٨) وهو ما يزال مخطوطا فيما اعلم ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقمها (٥٩٦٤) .

الاول : ماوقع فيه من الحذف .

الثاني : ماوقع فيه من الزيادة .

الثالث : ماوقع فيه من قلب حرف الى حرف .

الرابع : احكام الهمزات .

الخامس : ماوقع فيه من القطع والوصل »(٢٩) .

وسوف انقل من كتب رسم المصحف امثلة توضح هذه الانواع الخمسة ، ثم اتبعها بدراسة ثلاث صفحات من مصاحف قديمة ، متتبعا ما ورد فيها من امثلة تطابق ما ورد في كتب رسم المصحف ليكون ذلك دليلا بين يدي القارىء على صدق ماذكره العلماء حين وصفوا طريقة رسم الكلمات في المصاحف القديمة .

اولا : امثلة ماوقع في رسم المصحف من الحذف :

تنحصر الامثلة التي وقع فيها حذف شيء من هجائها في ما كان فيه احد حروف المد الثلاثة : الالف والواو والياء ، حيث وقع الحذف في هذه الحروف في مواضع مخصوصة .

فمن الكلمات التي حذفت منها الالف (يا) التي للنداء ، حيث تتصل الياء بالاسم بعدها نحو : (يقوم = ياقوم) ، و (يرب = يارب) و (ينوح = يانوح) ، و (يأيها = ياأيها) ، وغير هذه الامثلة من هذا الباب كثير ، ومثل (يا) في الحذف (ها) التي للتنبيه ، مثل : (هذا = هاذا) و (هذان = هاذان) . وكذلك رسموا التثنية المرفوعة بغير الف ، نحو (رجلن = رجلان) ، ومثل (يحكمن = يحكمان) ، وكذلك الجمع السالم الكثير الدور في المذكر والمؤنث جميعا ، نحو (العلمين = العالمين)، و (الصبرين = الصابرين) ، و (المسلمت = المسلمات) ؛ و (الظلمت = الظلمات) . ومن ذلك ايضا حذف الف نون الجماعة اذا اتصل بها ضمير نحو : (علمنه = علمناه) ، و (ارسلنك = ارسلناك) ، وهناك امثلة اخرى كثيرة مطردة او مفردة لم ترسم فيها الالف ، أستطيل ذكرها ويمكن الاطلاع عليها في كتب رسم المصحف(٣٠).

وحذفت الياء في مثل : (الداع = الداعي)، و (المهتد = المهتدي) ، و (سوف يؤت الله = سوف يؤتي الله) ، و (فارهبون = فارهبوني)، و (اطيعون = واطيعوني) و (النبين = النبيين)، و (الامين = الاميين)(٣١).

وحذفت الواو في مثل (ويدع الإنسن = ويدعو الإنسن) ، و (يمح الله = يمحو الله) ، و (يستون = يستوون) ، و (الغاون = الغاوون) و (داود = داوود)(٣٢) .

ثانيا : امثلة ماوقع في رسم المصحف من الزيادة :

الحروف التي تزاد في الخط هي الالف والواو والياء . فمن مواضع زيادة الالف آخر الكلمات التي تنتهي بواو سواء اكانت فعلا ام اسما، مثل (يدعوا = يدعو) ،(وءامنوا = ءامنو) ، و (كاشفوا العذاب = كاشفو العذاب) ، وكذلك زيدت في (مائة = مئة) ، وفي مثل (لاوضعوا = لاوضعو)(٣٣) .

وزيدت الواو في عدد من الكلمات ، منها : (أولئك = الائك) ، و (أولوا = الوا) ، و (سأوريكم = ساريكم)(٣٤) .

وزيدت الياء في عدد من الكلمات منها (افإين = افإن) ، و (من نباي = من نبا) ، و (تلقاىء تلقاءِ) ، و (بايد = بايدِ) ، و (بايكم = بايكم)(٣٥).

ثالثا : امثلة ماوقع في رسم المصحف من قلب حرف الى حرف :

من ذلك رسمهم الالف واوا في مثل : (الصلوة = الصلاة) ، و (الزكوة = الزكاة) ، ورسمهم الالف ياء في مثل : (أتى = اتا) و (على = علا) ، و (الضحى = الضحا) ، (الذكرى = الذكرا) . ومن هذا الباب ايضا مارسم من تاء التانيث بالتاء مرة وبالهاء اخرى ، مثل (رحمة ـ رحمت) ، و (نعمة ـ نعمت) ، و (كلمة ـ كلمت)، و (معصية ـ معصيت)(٣٦) .

---

(٢٩) ابن وثيق : رسالة في رسم المصحف الخ ، وانظر : السيوطي : الاتقان ١٤٧/٤ .

(٣٠) انظر : الهذلي : هجاء مصاحف الامصار ص ٩٩ـ١٠٩، والداني : المقنع ص ١٠ ـ ٢٨ .

(٣١) المصدران السابقان ص ١١١ ـ ١١٢ ، وص ٣٠ـ٣٤ .

(٣٢) المصدران السابقان ص ١١٠ ، وص ٣٥ .

(٣٣) المصدران السابقان ص ٩٥ ، وص ٤٢ ـ ٤٥ .

(٣٤) المصدران السابقان ص ٩٩ ، وص ٥٣ .

(٣٥) المصدران السابقان ص ٩٧ ، وص ٤٧ .

(٣٦) المصدران السابقان ص ٨٦ ـ ٩٠ ، ٧٦ ، وص : ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٧ .

رابعا : امثلة الكلمات المهموزة في رسم المصحف :

لرسم الهمزة احكام كثيرة فصلها علماء رسم المصحف ، وهي جارية على قياس مطرد ، سوى كلمات معدودات جاءت على غير القياس ، منها : (الضعفؤا = الضعفاء) ، و (الملؤا = الملأ) ، و (نشؤا = نشاء) ، و (يعبؤا = يعبأ) ، و (نبؤا = نبأ) ، ومنها (افاين = أفإن) ، و (اولئك = الائك) ، و (إيتائى = إيتاء) ، وما اشبه ذلك[٣٧].

خامسا : امثلة المقطوع والموصول في رسم المصحف:

الاصل في الخط ان تكتب كل كلمة منفصلة عما بعدها ؛ وقد جاءت كلمات قليلة الحروف مقطوعة مرة ومفصولة اخرى ، في رسم المصحف، منها : (انلا ـ الا) ، و (من ما ـ مما) ، و (عنمن ـ عمن) ، و (فيما ـ فيما) ، و (لكي لا ـ نكيلا) ، و (كلما ـ كلما) ، وما اشبه ذلك[٣٨].

* * *

هذه خلاصة موجزة للظواهر الإملائية التي تميز بها رسم المصحف ، ولست بصدد البحث في الاصول اللغوية لهذه الظواهر[٣٩] ، انما اريد ان اتتبع هذه الظواهر في النصوص الكتابية التي ترجع الى العصر الذي كتبت فيه المصاحف لاول مرة ، وقد ذكرت هذا من قبل ، وسوف اعرض هنا ثلاث صفحات من مصاحف قديمة ، ليقف القارىء على بعض الظواهر الإملائية التي ذكرت امثلتها من كتب رسم المصحف ، وساكتفي بكتابة الكلمات التي فيها ظواهر إملائية متميزة بكتابتها بين قوسين معقوفين على حسب نطقها ، من غير تعليق عليها ، طلبا للإيجاز ، واطمئنانا الى ان القارىء يدرك الظاهرة الإملائية من خلال نظرة في الصورة المكتوبة بين المعقوفين .

١ ـ صفحة من مصحف قديم مكتوب على الرق بالخط الكوفي ، محفوظ في مكتبة مرقد الإمام علي رضي الله عنه ـ في النجف (انظر صورة المصحف : صورة رقم ١)[٤٠]، وتحتوي الصفحة اواخر سورة طه ، واوائل سورة الأنبياء ، وهذا نص كلماتها ، مع ملاحظة ان نقاط الاعجام وعلامات الحركات وارقام الآيات كلها مضافة الى النص (انظر الصفحة : صورة رقم ٢) :

١ ـ من قبل ان نذل ونخزى [نخزا][١٣٤] قل كل متربص فتربصوا [فتربصو] .

٢ ـ فستعلمون من اصحب [اصحاب] الصراط السوي ومن

٣ ـ اهتدى [اهتدا] . الانبياء ، مائة واحدى عشرة[٤١].

٤ ـ بسم [باسم] الله الرحمن [الرحمان] الرحيم. اقترب للناس حسابهم

٥ ـ وهم في غفلة معرضون[١] مايأتيهم من ذكر من

٦ ـ ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون[٢] لهية [لاهية]

٧ ـ قلوبهم واسروا النجوى [النجوا] الذين ظلموا [ظالمو] هل

٨ ـ هذا [هاذا] إلا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصر ـ

٩ ـ ون[٣] قل [قال] ربي يعلم القول في السماء والأرض و

١٠ـ هو السميع العليم[٤] بل قالوا [قالو] اضغث [اضغاث] احلم [احلام] بل

١١ـ افتريه [افتراه] بل هو شاعر فلياتنا بايبه [باية] كما ارسل ٱ .

١٢ـ لاولون[٥] ما ءامنت قبلهم من قرية اهلكنها [اهلكناها] أ ـ

١٣ـ فهم يؤمنون[٦] وما ارسلنا قبلك إلا رجلا [رجالا] نوحي

١٤ـ إليهم فسئلوا [فسئلو]اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[٧]

١٥ـ وما جعلنهم [جعلناهم] جسدا لا ياكلون الطعام وما كا ـ

١٦ـ نوا [كانو] خلدين [خالدين][٨] ثم صدقنهم [صدقناهم] الوعد فانجينهم [فانجيناهم] ومن

---

(٢٧) المصدران السابقان ص ٩٠ ـ ٩٤ ، وص ٥١ ـ ٦٢ .

(٣٨) المصدران السابقان ص ٨١ ـ ٨٦ ، وص ٦٨ ـ ٧٧ .

(٣٩) حول هذا الموضوع يمكن مراجعة الفصل الرابع من كتاب (رسم المصحف : دراسة لغوية) ص ٢٣٧ـ٢٦١ .

(٤٠) انظر وصفا موجزا لهذا المصحف في كتاب : رسم المصحف ص ١٩٤ هامش ١٤٢ .

(٤١) (الانبياء) اسم السورة ، و (مائة واحدى عشرة) اشارة الى عدد آياتها .

١٧ــ نشاء واهلكنا المسرفين[٩] لقد انزلنا إليكم كتبا [كتابا] .

إن الكلمات المكتوبة بين القوسين المعقوفين كلها من الامثلة التي سبق ان نقلنا مايشبهها من كتب رسم المصحف ، ولا اجد ضرورة للتعليق هنا ، اللهم إلا ماورد في السطر (١١) حيث جاءت كلمة (بآية) مرسومة بياءين ، وهذا مذهب معروف في رسم المصحف ، ذكرنا من امثلته كلمة (بأييد)[٤٢]. وإلا ما جاء في آخر الاسطر (٨ــ١١ ــ١٢ــ١٥) من تجزئة الكلمة بين سطرين ، وهذه ظاهرة كانت شائعة في رسم المصحف وفي الكتابات العربية القديمة . وسوف اذكر هذه القضية بعد ان اتحدث عن النقوش العربية القديمة وظواهرها الإملائية .

ب ــ صفحة من بقايا مصحف قديم مكتوب على الرق ، محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، وتحتوي الصفحة آيات من آخر سورة الإسراء ، وهذا نص كلماتها (انظر الصفحة : صورة رقم ٣) :

١ ــ اد ان يستفزهم من الأرض فاغرقنه [فاغرقناه] و
٢ ــ من معه جميعا[١٠٣] وقلنا من بعده لبني إسرءيل [إسراءيل] ا ــ
٣ ــ سكنوا [اسكنو] الارض فإذا جاء وعد الاخر .
٤ ــ ة جئنا بكم لفيفا[١٠٤] وبالحق انزلنه [انزلناه] وبالحق نزل
٥ ــ وما ارسلنك [ارسلناك] إلا مبشرا ونذيرا[١٠٥] وقر ــ
٦ ــ ءانا فرقنه [فرّقناه] لتقراه على [علا] الناس على [علا] مكث
٧ ــ ونزلنه [نزلناه] تنزيلا[١٠٦] قل ءامنوا به او لا تؤمنوا [تؤمنو] إن
٨ ــ الذين اوتوا [اوتو] العلم من قبله إذا يتلى
٩ ــ عليهم يخرون للأذقن [للأذقان] سجدا[١٠٧] ويقولون سبحن [سبحان]
١٠ــ ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا[١٠٨] ويخرون
١١ــ للأذقن [للأذقان] يبكون ويزيدهم خشوعا[١٠٩] قل ا ــ
١٢ــ دعوا [ادعو] الله او ادعوا [ادعو] الرحمن [الرحمان] ايا ما
١٣ــ تدعوا [تدعو] فله الاسماء الحسنى [الحسنا] ولا تجهر بصلتك [بصلاتك]
١٤ــ ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك [ذالك] سبيلا[١١٠] وقل
١٥ــ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن [له شريك في الملك . ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا][٤٣].

ج ــ صفحة من مصحف قديم مكتوب على الرق ، عثر عليه في جامع عمرو بن العاص ــ رضي الله عنه ــ في القاهرة القديمة ، وهو الآن محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٣٩ مصاحف)[٤٤] وتحتوي هذه الصفحة على آخر سورة الاحقاف ، وأول سورة القتال (وتسمى سورة محمد ــ صلى الله علية وسلم ــ ايضا) (انظر الصفحة : صورة رقم ٤) ، وهذا نص كلماتها :

١ ــ الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يو ــ
٢ ــ م يرون ما يوعدن لم يلبثوا [يلبثو] إ ــ
٣ ــ لا ساعة من نهار بلغ [بلاغ] فهل يهلك
٤ ــ إلا القوم الفسقون [الفاسقون] .
٥ ــ بسم [باسم] الله الرحمن [الرحمان] الرحيم ا ــ
٦ ــ لذين كفروا [كفرو] وصدوا [صدو] عن سبيل
٧ ــ الله اضل اعملهم [اعمالهم][١] والذين ءا ــ
٨ ــ منوا [ءامنو] وعلموا [علمو] الصلحت [الصالحاتِ] وءامنو ــ
٩ ــ ا [ءامنو] بما نزل على [علا] محمد وهو الحق
١٠ــ من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وا ــ
١١ــ صلح بالهم[٢] ذلك [ذالك] بان الذين .

قد يستغرب القارىء من وضع بعض الكلمات الواردة في الصفحات الثلاث بين معقوفين ، وهي مرسومة كما نرسمها الآن ، وذلك مثل : بسم ، والرحمن ، وهذا ، وعلى ، والنجوى ، وظلموا ، وذلك ، وما اشبهها ، وإنما كان ذلك لان هذه

---

(٤٢) انظر في هذه القاهرة وتعليلها كتاب : رسم المصحف ص ٢٩٥ ــ ٤٠٢ .

(٤٣) ما بين المعقوفين تكملة السورة ، وهي ليست في الصفحة التي اوردنا صورتها ونقلنا كلماتها هنا .

(٤٤) انظر كتاب : رسم المصحف ص ١٩٢ .

الكلمات لا يتطابق رسمها مع نطقها ، ولان فيها دلالة على مدى ارتباط املائنا الذي نكتب به برسم المصحف ، وهذه الكلمات خير شاهد على ذلك الارتباط ، وسوف نشير الى هذه القضية في آخر البحث ان شاء الله ، وبعد ان نستوفي الكلام على النقوش العربية القديمة .

المبحث الثاني

النقوش العربية القديمة : تاريخها وقراءتها

كتب عدد من الدارسين المحدثين بحوثا درسوا فيها اصل الخط العربي وتتبعوا تاريخ تطوره في مراحله الاولى ، وانتهوا الى ان الراجح في اصل الخط العربي انه منحدر عن الخط النبطي المتاخر(٤٥). وان بروز الخط العربي وتميزه عن الخط النبطي قد تم في القرون الاولى بعد الميلاد. ولا أجد ضرورة للدخول في تفاصيل هذا الموضوع(٤٦). لان هدفنا هو دراسة النقوش العربية القديمة ، والوقوف على طريقة رسم الكلمات فيها ، ثم مقارنتها برسم المصحف .

وسوف اعرض تلك النقوش في مجموعتين : الاولى تضم ثلاثة من النقوش العربية الجاهلية ، والثانية تضم ثلاثة من نقوش العصر الاسلامي الاول .

المطلب الاول : النقوش العربية الجاهلية :

اكتشف الباحثون عددا من النقوش العربية التي ترجع الى ماقبل الاسلام ، في شمال الجزيرة العربية واطراف بلاد الشام ، وقد اخترت منها ثلاثة نقوش ، واهملت ثلاثة اخرى لان تواريخها غير اكيدة ولان مادتها محدودة غير واضحة ، والنقوش التي ساذكرها هنا هي : نقش النمارة ، ونقش جبل اسيس ، ونقش حران(٤٧) .

١ ـ نقش النمارة :

عثر المستشرقان دوسو Dussaud وماكلر Macler سنة ١٩٠١م على نقش له اهمية كتابية ولغوية كبيرة ، على بعد كيلومتر من النمارة القائمة على انقاض قصر روماني شرقي جبل الدروز ، وهذا النقش هو شاهد قبر ملك عربي اسمه امرؤ القيس بن عمرو ، المتوفى سنة ٣٢٨م(٤٨) ، وقد عرف هذا النقش بنقش النمارة نسبة الى اسم الموضع الذي عثر على النقش بالقرب منه (انظر النقش : صورة رقم ٥) .

وقام الباحثون بدراسة هذا النقش ومحاولة قراءة كلماته ، ويغلب على صورة رسم الكلمات فيه شكل الكتابة العربية ، وفيه جمل تامة مكتوبة بلغة عربية خالصة ، وفيه بعض ملامح التاثر بالنبطية او الآرامية . وهذه كلمات النقش مرسومة بحروف كتابتنا العربية التي نستخدمها اليوم(٤٩):

١ ـ تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب
كله ذو اسر التج

٢ ـ وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو
عكدي وجا

٣ ـ بزجي في حبج نجرن مدينت شمرو ملك معدو
ونزل بنيه

---

(٤٥) يعتقد بعض الباحثين ان الانباط قبائل عربية كانت تتجول في شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام ، وقد اسسوا دولة لهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، واتخذوا سلع (البتراء) عاصمة لملكهم ، واستمرت دولتهم حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، حين استولى الحاكم الروماني في سوريا على عاصمتهم . وكان الانباط قد استخدموا الخط الآرامي ، واستطاعوا ان يطوروا منه كتابة خاصة بهم ، تطورت بعد ذلك الى الكتابة العربية . (انظر : كتاب رسم المصحف ص ٤٥-٤٧) .

(٤٦) من البحوث القيمة التي عالجت هذا الموضوع بالعربية:
١ ـ اصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام ، للدكتور خليل يحيى نامي . مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية مج٣-ج١ سنة ١٩٣٥ ، وطبع في كتاب بمطبعة بول باربيه ، القاهرة ١٩٣٥.
٢ ـ منشا الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين ، للاستاذ المرحوم ناصر النقشبندي ، مجلة سومر مج ٣ ـ ج١ سنة ١٩٤٧ .
٣ ـ اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي ، للاستاذة سهيلة ياسين الجبوري ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ١٩٧٧ .

(٤٧) النقوش التي اهملتها هي : نقش ام الجمال الاول ، ونقش زبد ، ونقش ام الجمال الثاني ، انظر عنها : ناصر النقشبندي : منشا الخط العربي وتطوره ، مجلة سومر مج ٣ ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٣٣ ، وجواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٧٢/٧ ـ ٢٨٠ .

(٤٨) انظر : اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٨٩ . وجواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ١٨٩/١، و ٢٧٢/٧ . وبلاشير : تاريخ الادب العربي ٧١/١ . ورمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ص ١٢٤ .

(٤٩) انظر في قراءة النقش المصادر السابقة في رقم (٤٨) .

٤ ــ الشعوب ووكلهن فرسوا لروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥ ــ عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .

ان اكثر كلمات هذا النص تبدو عربية ، لاسيما اذا لاحظنا ان من تقاليد الكتابة آنذاك عدم اثبات الالف في وسط بعض الكلمات مثل : التج : التاج ، ونجرن : نجران ، وكذلك زيادة واو في آخر اسماء الاعلام مثل : عمرو : عمر ، ونزرو : نزار ، وشمرو شمر ، وغيرها . مع احتمال ان تكون قراءة بعض الكلمات ونقلها من الصخر الى الورق غير دقيقة . اما تاريخ هذا النقش فهو ٢٢٣ من تاريخ بصرى ، الموافق لسنة ٣٢٨ من التاريخ الميلادي .

إن هذا النقش له اهمية تاريخية ولغوية تتمثل بقدمه ، إذ هو سابق لظهور الاسلام بنحو ثلاثة قرون ، وبالكلمات والعبارات العربية الخالصة التي تضمنها ، وهي تدل على تميز الكتابة العربية عن الكتابة النبطية في اول القرن الرابع الميلادي ، علما بأن هذا النقش عثر عليه في مكان لا يخلو من مؤثرات لغوية غير عربية ، لأن النمارة تقع في بلاد الشام التي كانت تغلب عليها الآرامية(٥٠) .

٢ ــ نقش جبل اسيس :

عثرت على هذا النقش بعثة المانية للتحري عن الآثار في سوريا في حزيران سنة ١٩٦٥م ، في منطقة تبعد ١٠٥ كيلومتر جنوب شرقي دمشق عند جبل اسيس(٥١). ويعد هذا النقش آخر نقش عربي جاهلي اكتشافا ، وان لم يكن اقدمها تاريخا ، ولايزال هذا النقش غير معروف لدي كثير من الباحثين في تاريخ الكتابة العربية(٥٢). وهذه قراءة كلمات هذا النقش بحروف كتابتنا العربية التي نستخدمها اليوم (انظر النقش صورة رقم ٦)(٥٣) :

١ ــ ابرهيم بن مغيرة الاوسي
٢ ــ ارسلني الحرث الملك على
٣ ــ سليمن مسلحة سنت
٤ ــ ٤٢٣ .

وقد اشارت الاستاذة سهيلة الجبوري ان تاريخ النقش حسب تقويم بُصرى ، وهو يقابل سنة ٥٢٨ للميلاد . وذكرت ان الحارث المذكور في النقش هو الحارث بن جبلة الذي انتصر على المنذر الثالث اللخمي في عام ٥٢٨م(٥٤). ويبدو ان ابراهيم بن مغيرة الاوسي هو احد اتباع الملك الحارث المحاربين ، فقد جاء في لسان العرب عن كلمة (المسلحة) مانصه : « المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح ، أو لانهم يسكنون المسلحة ، وهي كالثغر والمرقب يكون فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فاذا راوه اعلموا اصحابهم ليتاهبوا له »(٥٥).

وعلى الرغم من قلة كلمات هذا النقش فانها جاءت عربية خالصة وذات معنى واضح محدد ، كما انها كتبت بحروف عربية واضحة . ولعل اهم ميزات هذا النقش الكتابية هي : ١ ــ خلوه من نقاط الإعجام وعلامات الحركات ٢ ــ حذف الالف الواردة في وسط الكلمة مثل (ابراهيم ، والحارث، وسليمان) ٣ ــ كتابة تاء التانيث هاء في : (مغيرة، ومسلحة) ، وتاء طويلة في كلمة (سنت) .

٣ ــ نقش حران :

عثر بعض المستشرقين سنة ١٨٦٤م في حران اللجا ، في المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، على كتابة مدونة باليونانية والعربية على حجر وضع فوق باب كنيسة ، يعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ للميلاد . وعرف هذا النقش باسم نقش حران ، وهذه كلمات النص العربي (انظر النقش صورة رقم ٧) :

١ ــ انا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول

---

(٥٠) قام د . رمزي بعلبكي باوسع دراسة تحليلية لغوية وتاريخية لهذا النقش في كتابه : الكتابة العربية والسامية ص ١٢٤ ــ ١٤٣ .

(٥١) انظر : سهيلة الجبوري : اصل الخط العربي وتطوره ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٥٢) لم اطلع على هذا النص في المصادر العربية الا في كتاب (اصل الخط العربي وتطوره) للاستاذة سهيلة الجبوري الذي طبع سنة ١٩٧٧ . ولم يذكره الدكتور رمزي بعلبكي في كتابه (الكتابة العربية والسامية) الذي طبع سنة ١٩٨١ .

(٥٣) انظر : سهيلة الجبوري : اصل الخط العربي وتطوره ص ٥٣ .

(٥٤) المصدر نفسه ص ٥٣ هامش ١٩ و ٢٠ .

(٥٥) ابن منظور : لسان العرب ٣١٧/٣ مادة (سلح) .

٢ ــ سنت ٤٦٣ بعد مفسد
٣ ــ خيبر
٤ ــ بعم

والقراءة الكاملة للنص هي : (انا شراحيل بن ظالم ، بنيت ذا المرطول [الكنيسة] ، سنة ٤٦٣ [من تقويم بصرى = ٥٦٨م] ، بعد مفسد خيبر بعام) . ومفسد خيبر قد يشير الى غزوة قام بها الحارث بن ابي شمر احد امراء بني غسان لخيبر، على مايرجح بعض الباحثين(٥٦).

ونقش حران يتميز بالخصائص الكتابية التي لاحظناها من قبل في نقش جبل اسيس ، من حيث خلوه من نقاط الاعجام وعلامات الحركات ، مثل كل النقوش العربية الجاهلية ، ومن حيث حذف الالف الواردة في وسط الكلمات مثل (شرحيل : شراحيل ، وظلمو : ظالم ، وبعم : بعام) والواو المزيدة في آخر (ظلمو) هي مثل الواو المزيدة في الاعلام الواردة في نقش النمارة . وكذلك كتبت (سنة) في هذا النص بالتاء الطويلة .

والكتابة العربية التي نجدها في النقوش العربية الجاهلية ، لاسيما نقشي اسيس وحران ، تقدم نموذجا متكاملا للاملاء العربي في صورته الاولى قبل رسم المصحف ، ومالحق الكتابة العربية بعد ذلك من تطور لم يغير من تلك الصورة شيئا جوهريا . وينبغي ان نشير هنا الى ان خصائص الكتابة العربية ترتبط بخصائص الكتابة النبطية حتى لقد قال خليل يحيى نامي في آخر بحثه عن اصل الخط العربي : « ... يتبين لنا ان الكتابة العربية هي عبارة عن تطور الكتابة النبطية وانها تحمل نفس مميزاتها وسماتها »(٥٧).

المطلب الثاني : نقوش العصر الاسلامي

إن النصوص المكتوبة التي ترجع الى القرن الهجري الاول كثيرة ، لكن ما يرجع منها الى النصف الاول منه قليلة ، ويكاد تناقص تلك النصوص كلما تقدمنا الى السنين الاولى من تاريخ الاسلام يكون امرا مطردا . وتتنوع النصوص المكتوبة التي ترجع الى العقود الاولى من ذلك القرن ، فمنها ماهو منقوش على الحجر ، ومنها ماهو مرقوم على الاديم او القرطاس (البردي) ، ومنها ماهو مضروب على الدراهم(٥٨) .

ولكثير من تلك النصوص مشكلات تواجه الباحث فيها ، ولعل اقل تلك النصوص مشكلات النصوص المنقوشة على الحجر ، لاسيما المؤرخة منها ، وقد وجدت ان ثلاثة منها انفع من غيرها للبحث الذي نحن بصدده ، وهو الموازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة ، لقدم تاريخها، ولوضوح قراءتها ، ولغزارة مادتها ايضا . وهي من بلدان متعددة ، فالنقش الاول من مصر ، والثاني من بلاد الحجاز في السعودية ، والثالث من العراق . وهذا عرض لنصوصها وتاريخ الكشف عنها :

١ ــ نقش القاهرة :

اكتشف هذا النقش الاستاذ حسن محمد الهواري ، من بين عدد كبير من قطع الحجر او الرخام المكتوبة بالخط الكوفي ، التي كانت تحتفظ بها دار الآثار العربية بالقاهرة ، وهي مجلوبة من اقدم المقابر الاسلامية في القاهرة واسوان . وذلك في سنة ١٩٢٩م(٥٩). وكتب مقالة بعنوان (اقدم اثر إسلامي) في مجلة الهلال المصرية(٦٠). وهو اليوم محفوظ بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة برقم (١٠٥٨/٢٩) ، وحجم قطعة الحجر المكتوب عليها هو ٣٨سم × ٧١سم(٦١).

---

(٥٦) انظر : ناصر النقشبندي : منشا الخط العربي وتطوره، مجلة سومر مج ٣ ج ١ ص ١٢٣ ، وجواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ١٩٠/١ ، و ٢٧٩/٧ ، وبلاشير : تاريخ الادب العربي ٧٢/١ ، ورمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ص ١٥١ ــ ١٥٥ .

(٥٧) اصل الخط العربي ص ١٠١ .

(٥٨) انظر عن تلك النصوص : حسن محمد الهواري : اقدم اثر اسلامي . مجلة الهلال المصرية ، السنة ٣٨ (١٩٣٠) ج ١٠ ص ١١٨١ ــ ١١٨٣ . وناصر النقشبندي : منشا الخط العربي وتطوره ، مجلة سومر (١٩٤٧) مج ٣ ، ج ١ ص ١٣٥ ــ ١٤٠ ، وزاكية محمد رشدي : النقوش السامية (القسم الثاني) ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة (١٩٦٧) مج ٢٩ ، ج ١ــ٢ ص ٤٠ــ٥٦ .

(٥٩) انظر : اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٠٢ .

(٦٠) انظر : الجزء العاشر من السنة ٣٨ (سنة ١٩٣٠م) ص ١١٧٩ ــ ١١٩١ ، وكذلك نشر حسن الهواري مقالته في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية في عدد نيسان (١٩٣٠)، انظر : ابراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ١٢٨ .

(٦١) انظر : ابراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ١٢٠ ، وسهيلة الجبوري : اصل الخط العربي وتطوره ص ١٠٨ .

وتسمي بعض المصادر هـذا النقش بنقش (اسوان) على اساس انه عثر عليه في مقابر اسوان في جنوبي مصر(٦٢). لكن الذي نص عليـه حسن الهواري في مقالته عن هذا النقش انه لرجل « دفن بالقرافة بظاهر الفسطاط »(٦٣) . ومن ثم وصف بأنه (نقش القاهرة) .

وهذا النقش له شأن عظيم في الدراسـات المتعلقة بتاريخ تطور الكتابة العربية ، وذلك لانه يكاد يكون اقدم نص اسلامي مدون على الحجر ، فهو مؤرخ بسنة (٣١هـ) . وهو بذلك يرجع الى الحقبة التي كتبت فيهـا المصاحف في المدينـة في خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

وقد اتفق الباحثون على قراءة كلمات هـذا النقش ماعدا كلمتين او ثلاثا ، وهذا نص كلماتـه (انظر النقش : صورة رقم ٨) مع الاشارة الـى الكلمات المختلف في قراءتها بوضعها بين قوسين :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
٢ ــ لعبد الرحمن بن (خير) (الحجري) اللهـم اغفر له
٣ ــ وأدخله في رحمة منك (واننا) معه
٤ ــ أستغفر له اذا قرا هذا الكتب
٥ ــ وقل آمين وكتب هذا ا
٦ ــ لكتب في جمدى الآ
٧ ــ خر من سنت احدى و
٨ ــ ثلاثين .

اختلف الباحثون في قراءة كلمة (خير) في السطر الثاني ، فقد قراه بعضهم (جبر) ، وكذلك اختلفوا في (الحجري) في السـطر ذاتـه ، فقراه بعضهم (الحجازي)(٦٤) . وقد رجح حسن الهواري قراءته (خير) و (الحجري) بفتح الحاء وسكون الجيم(٦٥). وكذلك اختلفوا في قراءة كلمة (واننا) في السطر الثالث ، فقد قراه بعضهم (واتنا)(٦٦)، وقراه بعضهم (وإيانا)(٦٧) . والسبب في اختلافهم في قراءة هذه الكلمات هو ان النص غير منقط في الاصل .

واقترح خليل يحيى نامي قراءة كلمة (قرا) في السطر الرابع (قرات) باضافـة تاء الفاعل ، فكأنه يرى ان الكاتب نسي كتابة التاء(٦٨). لكن هذا ليس اكيدا فيما نرى ، فقد تكون الصيغة مبنيـة للمجهول (قرىء) ، مثـل (كتب) في السـطر الخامس ، لكن تثار حينئذ مشكلة كتابة الهمزة ، وسوف اناقـش ذلك في موضـع لاحق من هـذا البحث ، ان شاء الله .

(٦٢) انظر المصدرين السابقين ص ١٣٠ ، وص ١٠٨ .
(٦٣) انظر : مجلة الهلال ج ١٠ (السنة ٣٨) ص ١١٩١ .
(٦٤) انظر : اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٠٢ . وخليل يحيى نامي : اصل الخط العربي ص٩١.
(٦٥) اقدم اثر اسلامي ص ١١٩٠ ــ ١١٩١ .
(٦٦) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٠٢ .
(٦٧) صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٤١ .

٢ ــ نقش الطائف :

عثر على هذا النقش في اثناء التنقيب على المعادن في منطقة قرب الطائف في الحجاز ، وذلك في سنة ١٩٤٥ ، وقام بنشره وقراءته (مايلز) سنة ١٩٤٨ ، وتناوله بالدرس عدد آخر من الباحثين . وهو على صخرة من بقايا سـد قديم امر ببنائـه الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان ــ رضي الله عنه ــ قرب الطائـف ، ومؤرخ بـسنة ٥٨هـ . وهـذا نص كلماته (انظر النقش : صورة رقـم ٩)(٦٩):

١ ــ هذا السـد لعبدالله معوية
٢ ــ أمير المؤمنين بنيه عبدالله بن صخر
٣ ــ باذن الله لسنة ثمن وخمسين ا
٤ ــ لنهم اغفر لعبدالله معوية ا
٥ ــ مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا
٦ ــ لمؤمنين به كتب عمرو بن حباب .

وكان (مايلز) حين نشر هذا النقش لاول مرة يظن ان كلمة قد امحت في اول السطر السادس، وقدر انها كلمـة (امير) فتكون القراءة في رايـه (ومتع [امير] المؤمنين به) ، ولا داعي لهذا التقدير ولا لغيره ، فالنص كامل لا يحتاج الى تقدير شيء، لان الضمير في (به) في السطر السادس يرجع الى امير المؤمنين وليس الى السد ، وانما اراد الكاتب: ومتع المؤمنين بأمير المؤمنين ، اي بطول بقائه(٧٠) .

ويتميز هـذا النقش عن جميـع النقوش السابقة في أن عددا من حروفة تبدو منقطة ، وهي

(٦٨) اصل الخط العربي ص ٩١ .
(٦٩) انظر عن هذا النقش والمصادر التي تحدثت عنه : كتاب رسم المصحف ص ٥٤٧ ــ ٥٤٩ .
(٧٠) انظر : المصدر السابق ص ٥٤٨ .

(الباء والتاء والياء والثاء والنون والفاء والخاء) ، وسوف اعود الى مناقشة هذه القضية في موضع لاحق .

٣ ـ نقش حفنة الأبيض :

عثر على هذا النقش السيد عزالدين الصندوق سنة ١٩٤٩م عندما كان في بعثة دائرة الآثار العراقية الى الصحراء الغربية ، وهذا النقش يشبه تذكارا كتبه ثابت بن يزيد الاشعري في شوال من سنة ٦٤هـ ، على صخرة تجثم على حافة وادي الابيض ، في منطقة تسمى حفنة الابيض غربي كربلاء[٧١]. وهذا نص كلمات النقش (انظر النقش : صورة رقم ١٠)[٧٢] :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ الله وكبر كبيرا وا
٣ ـ لحمد لله كثيرا وسبحن ا
٤ ـ الله بكرة واصيلا وليلا
٥ ـ طويلا . اللهم رب
٦ ـ جبريل وميكل واسر
٧ ـ فيل اغفر لثبت بن يزيد
٨ ـ الاشعري ما تقدم من
٩ ـ ذنبه وماتاخر ولن قال
١٠ـ امين امين رب العلمين
١١ـ وكتبت هذا الكتب في
١٢ـ شوال من سنة اربع و
١٣ـ ستين .

وهذا النقش يحمل خصائص النقوش السابقة ، مع وجود بعض الظواهر الإملائية التي انفرد بها ، مما سنقف عنده في المبحث الآتي ، واكتفي هنا بالاشارة الى وجود ثلاثة حروف معجمة في هذا النقش وهي الباء والياء والثاء في السطرين الثاني والثالث .

(٧١) انظر : عز الدين الصندوق : حجر حفنة الابيض ، مجلة سومر ١٩٥٥ مج ١١ ج ٢ ص ٢١٢-٢١٧ ، وانظر كتاب : رسم المصحف ص ٥٤٩ .

(٧٢) انظر : صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

المبحث الثالث

الظواهر الإملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة

ليس من هدفنا تتبع تطور اشكال الحروف في النقوش العربية الجاهلية والنقوش العربية الاسلامية ، وليس من هدفنا الحديث عن انواع الخطوط من ليّن ويابس ، او كوفي ونسخي ، انما هدفنا هنا تتبع الظواهر الإملائية التي فيها مخالفة المكتوب للمنطق مما تميزت به تلك النقوش وشاركها في ذلك رسم المصحف. ومن تلك الظواهر المشتركة :

اولا : خلو الكتابة من الشكل والنقط :

تميزت النقوش العربية القديمة (الجاهلية والإسلامية) بخلوها من علامات الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة . ومن غيرها من العلامات الأخرى ، وكذلك كانت المصاحف الاولى مجردة من ذلك كله . وكانت الكتابة العربية قد ورثت هذه الخاصية عن اصلها البعيد بواسطة الكتابة النبطية[٧٣]. وقد قال ابو عمرو الداني : « إن العرب لم تكن اصحاب شكل ونقط »[٧٤].

اما علامات الحركات المستخدمة في المصاحف الآن ، وفي الكتابة العربية في غير المصاحف فانها ترجع الى حقبة تالية لوقت نسخ المصاحف ، وذلك لان الكتابة المجردة من علامات الحركات لاتعين على القراءة الصحيحة ، ومن ثم فكر العلماء في وقت مبكر من تاريخ الاسلام بسد هذا النقص في الكتابة، وكانت اول محاولة في هذه السبيل هي محاولة ابي الاسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت ٦٧ او ٦٩هـ)، في البصرة ، فانه ابتكر طريقة النقط المدورة الحمراء لتمثيل الحركات . فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحت الحرف ، والضمة بين يدي الحرف (اي امامه) ، وكان استخدام هذه الطريقة في المصاحف خاصة[٧٥].

(٧٣) انظر : سهيلة الجبوري : اصل الخط العربي وتطوره ص ١٤٧ ، ورمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ص ٣٢١ .

(٧٤) المحكم ص ١٧٦ .

(٧٥) انظر : الداني : المحكم ص ٦-٧ ، وابن النديم : الفهرست ص ٤٥ .

وقد غبر الناس زمانا وهم يستخدمون طريقة ابي الاسود الدؤلي في تمثيل الحركات ، لكن هذه الطريقة لا تخلو من صعوبة تتمثل بتعدد الوان المداد ، وبالتباسها بنقط الاعجام المميزة للحروف المتشابهة في الرسم ، وقد جاء عالم العربية الخليل ابن احمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) فجعل نقط ابي الاسود حروفا صغيرة من لون الكتابة ذاتها ، فجعل الفتحة الفا صغرى مائلة فوق الحرف ، والكسرة ياء صغرى مردودة تحت الحرف ، والضمة واوا صغرى فوق الحرف(٧٦). وهناك تفصيلات كثيرة عن تاريخ استخدام الحركات في الكتابة العربية نستطيل ذكره هنا ، مع عدم مسيس الحاجة اليه(٧٧).

ومما يتعلق بهذا الموضوع نقاط الاعجام التي تميز بين الحروف المتشابهة في الرسم ، فالنقوش العربية التي ترجع الى ماقبل الاسلام تخلو من نقاط الاعجام ؛ وقد ورثت الكتابة العربية ذلك عن الكتابة النبطية(٧٨). وكتبت المصاحف مجردة من ذلك ايضا . وتذكر رواية المصادر العربية أن نصر ابن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ) البصري هو الذي نقط الحروف ؛ التنقيط الذي لايزال مستخدما في الكتابة العربية . لكن النقوش العربية الاسلامية التي ترجع الى فترة من زمان نصر بن عاصم ، ظهرت فيها بعض الحروف المعجمة لاسيما نقش سد الطائف المؤرخ بسنة ٥٨هـ . وهناك شك في اصالة النقط التي تظهر في كتابة نقش سد الطائف، والامر يحتاج الى تفصيل يمكن مراجعته في مصادره(٧٩).

ثانيا : حذف الالف في وسط الكلمة :

من الظواهر الكتابية الشائعة في رسم المصحف حذف الالف الواردة في وسط الكلمة في كثير من الاحيان ، وقد راينا من امثلة ذلك في سورة الفاتحة وحدها الكلمات الآتية : (الرحمن= الرحمان) و (العلمين = العالمين) و (ملك=مالك) و (الصرط = الصراط) ، والامثلة كثيرة على نحوما ذكرنا من قبل .

(٧٦) الداني : المحكم ص ٧ .

(٧٧) من اراد التفصيل فعليه بالفصل الخامس من كتاب : رسم المصحف ص ٦٥ وما بعدها .

(٧٨) خليل يحيى نامي : اصل الخط العربي ص ٨٧ و ١٠١.

(٧٩) انظر كتاب : رسم المصحف ص ٥٢٧ ـ ٥٥٥ .

واذا رجعنا الى النقوش العربية القديمة وجدنا ان هذه الظاهرة لم تكن خاصة برسم المصحف ، وانما كانت احدى خصائص الكتابة العربية في ذلك الوقت ، فحذف الالف ظاهرة كتابية شائعة في النقوش العربية الجاهلية ، مثل (التج = التاج ؛ ونجرن=نجران) في نقش النمارة، و (ابرهيم = ابراهيم ، والحرث = الحارث ، وسليمن = سليمان) في نقش جبل اسيس ، و (شرحيل = شراحيل ؛ وظلمو = ظالم ، وبعم = بعام) في نقش حران .

وقد استمرت هذه الظاهرة بعد رسم المصحف ، كما تدل على ذلك النقوش العربية الاسلامية التي ذكرناها ؛ وذلك مثل : (هذا = هاذا ؛ والكتب = الكتا ب؛ وجمدى = جمادى ؛ وثلثين = ثلاثين) في نقش القاهرة ؛ و (معوية = معاوية ، وثمن = ثمان) ، في نقش الطائف ، (سبحن = سبحان ؛ ولثبت = لثابت ، والعلمين = العالمين ، والكتب = الكتاب) في نقش حفنة الابيض .

ويرجع اصل هذه الظاهرة الى الكتابة النبطية التي انحدرت منها الكتابة العربية(٨٠) . فرسم المصحف اذن لم يكن متفردا بهذه الظاهرة ، فانها موجودة في الكتابة العربية قبل كتابة المصحف بها ، وظلت فاشية بعد ذلك في كتابات القرن الاول الهجري ، واخذت تختفي تدريجيا من الكتابة العربية ، لكن ظلت بقايا منها مستخدمة في الكتابة العربية الى اليوم وذلك في الكلمات : (الرحمن = الرحمان ، وهذا = هاذا ، وهذه = هاذه ، وهؤلاء = هاؤلاء ، إله = إلاه ، ولكن = لاكن ، واولئك = الائك ، وذلك = ذالك) .

ثالثا : رسم تاء المؤنثة :

من الظواهر الكتابية التي تميز بها رسم المصحف أن تاء المؤنثة جاءت مرسومة تاء احيانا وهاء اخرى ، مثل (رحمت ـ رحمة ، ونعمت ـ نعمة ، وكلمت ـ كلمة) . ولا نحتاج في هذا المقام الى الحديث عن اصل علامة التانيث في العربية ، ولا عن سبب كتابتها تاء مرة وهاء اخرى ، ويكفينا

(٨٠) انظر : خليل يحيى نامي : اصل الخط العربي ص ٨٨ و ١٠١ ، ورمزي بعلبكي : الكتابة العربية السامية ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

هنا أن نشير الى أن أصل هذه الظاهرة كان موجوداً في الكتابة العربية قبل رسم المصحف ، كما تدل على ذلك النقوش العربية القديمة . فنجد في نقش النمارة (مدينت = مدينة ، وسنت = سنة) وفي نقش جبل اسيس (سنت = سنة) وكذلك هي في نقش حران .

ويبدو ان التوجه الى كتابة تاء التانيث هاء كان قد بدا قبل الاسلام بعشرات السنين ، فنجد في نقش جبل اسيس كلمة (مغيرة ومسلحة) مكتوبتين بالهاء ، وكتبت كلمة (سنة) بالتاء في النقش ذاته ، وهذا يفسر لنا طريقة رسم المصحف في كتابة هذا النوع من الكلمات، بالتاء احيانا وبالهاء أخرى . وبدات ظاهرة كتابة تاء التانيث بالتاء المبسوطة تختفي تدريجيا حتى زالت تماما من الكتابة العربية .

رابعا : تفريق حروف الكلمة الواحدة في السطر والذي يليه :

من الظواهر الكتابية التي لاحظناها في الصفحات الثلاث من المصاحف القديمة تقطيع حروف الكلمة التي تقع في آخر سطر بين آخر السطر واول السطر الذي يليه ، كما نجد في آخر السطر الثامن واول التاسع من تقطيع كلمة (تبصر ــ ون) بين السطرين في الصفحة الاولى ، وكذلك الاسطر (١١ــ١٢) و (١٢ــ١٣) و (١٥ــ ١٦) . وكذلك نجد الظاهرة نفسها في الصفحتين الأخريين . وكان بعض العلماء السابقين قد نص على وجود هذه الظاهرة في المصاحف العثمانية القديمة(٨١).

ولانجد لهذه الظاهرة اثرا في النقوش العربية الجاهلية الثلاثة ، وقد لا يعني هذا عدم وجودها في ما كتب قبل الاسلام من نصوص عربية ، لان النقوش الثلاثة قصيرة قليلة الكلمات . اما النقوش العربية الاسلامية فان في كل نقش منها اكثر من مثال على هذه الظاهرة . فنجد في نقش القاهرة كلمة (الكتب) مقسمة بين آخر السطر الخامس واول السادس ، وكلمة (الآخر) مقسمة بين آخر السطر السادس واول السابع . وكذلك نجد في نقش الطائف الالف قد انفردت عن كلماتها في آخر السطور الثلاثة الثالث والرابع والخامس . وكذلك نجد هذه الظاهرة في نقش حفنة الابيض في آخر الاسطر الثاني والثالث والسادس .

خامسا : رسم الهمز :

رسم الهمزة من الموضوعات المتشعبة في الإملاء العربي ، في رسم المصحف وفي غيره ، لكن الغالب في رسمها هو كتابتها على التسهيل(٨٢). ولا نريد الدخول في تفصيلات هذا الموضوع ، واكتفي بالاشارة الى ان ماورد في النقوش العربية القديمة من امثلة قليلة يؤيد ما نجد في رسم المصحف من الكلمات المهموزة المكتوبة على خلاف القاعدة المطردة ، فما ورد في نقش حفنة الابيض في السطر الثاني من رسم الهمزة واوا في (الله وكبر) يماثل زيادة الواو في امثلة من الرسم في مثل (اولئك و ساوريكم) ونحو ذلك(٨٣) .

وقد وردت في نقش القاهرة كلمة (قرا) في السطر الرابع ، والسياق يقتضي ان تقرا بالبناء للمجهول (قُرِئ) وان ترسم همزتها بالياء ، لكنها رسمت بالالف هكذا (قرا) . فإذا كان الفعل مبنيا للمجهول فقد يكون رسم الهمزة فيها على مذهب من يكتب الهمزة بالالف دائما ، وهو مذهب قديم معروف في الكتابة العربية (٨٤). ويؤيد كون (قرا) مبنيا للمجهول مجيء الفعل (كتب) بعده مبنيا للمجهول في السطر الخامس ، والنص كما ورد في النقش هو :

٤ ــ استغفر له اذا (قُرِا) هذا الكتب .
٥ ــ وقل آمين و (كُتِبَ) هذا ا ــ

وكان خليل يحيى نامي قد راى ان تضاف تاء الفاعل المخاطب الى (قرا) لتصير (قرات)(٨٥). فكأنه يرى ان الكاتب نسي كتابة التاء ، ويقتضي مذهبه هذا ان تضاف تاء المتكلم الى (كتب) لتصير (وكتبت) . ولكني لا استبعد ان يكون كاتب هذا النقش أراد الصيغة التي كتبها ، وهي صحيحة كاملة ، وكل ما في الامر انه رسم الهمزة

(٨١) القلقشندي : صبح الاعشى ١٥١/٢ .

(٨٢) الداني : المحكم ص ١٥١ .
(٨٣) انظر : كتاب رسم المصحف ص ٣٨٦ .
(٨٤) انظر : الفراء : معاني القرآن ١٣٤/٢ .
(٨٥) أصل الخط العربي ص ٩١ .

على نحو يخالف المشهور في طريقة كتابتها ، وقد يكون رسمها على مذهب من يكتبها بالالف دائما من العرب .

خاتمة :

إن مجموع كلمات النقوش العربية القديمة قد لا يزيد على كلمات صفحة من المصحف ، ومن ثم فان الظواهر الإملائية التي تقدمها تلك النقوش تعد شيئا يسيرا بالنسبة للظواهر التي نجدها في رسم المصحف ، لكن تلك الظواهر الإملائية التي نجدها في النقوش العربية القديمة ، على قلتها ، ذات دلالة كبيرة في الموضوع الذي دار عليه هذا البحث ، فهي تؤكد على أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم اجمعين ـ قد كتبوا القرآن في المصحف بالكتابة العربية المستخدمة وقت نزول القرآن ، ويمكن لنا القول ان ما تميز به رسم المصحف من ظواهر إملائية لا يتطابق فيها المرسوم مع المنطوق كانت من مميزات الكتابة العربية قبل ان يدون بها القرآن .

والرسم العثماني ، بما فيه من تنوع الأمثلة الكتابية وكثرتها يقدم نموذجا حقيقيا لما كانت عليه الكتابة العربية في النصف الاول من القرن الهجري الاول ، حين كان الناس في تلك الايام لا يلاحظون فرقا بين رسم المصحف وكتابتهم في الاغراض الاخرى . واستمر الحال على ذلك الى ان ظهر علماء العربية في البصرة والكوفة واسسوا للكتابة ضوابط بنوها على اقيستهم النحوية واصولهم الصرفية . وكلما تقدم الزمن ازدادت الحاجة الى توحيد قواعد الاملاء ، ومن ثم فان اكثر الظواهر الكتابية التي نجدها في الرسم العثماني مرسومة على قاعدتين قد مالت الى التوحد في قاعدة واحدة، وكان علماء العربية يقودون خطى الناس في هذا الاتجاه ، ويضعون القواعد التي تيسره وتضبطه ، حتى ظهر علم الهجاء او الاملاء علما كاملا متميزا عن علم رسم المصحف .

وخلاصة ما يمكن قوله عن العلاقة بين رسم المصحف والاملاء الذي كتب به الناس منذ قرون كثيرة ، ولايزالون يكتبون به الى وقتنا ، هو ان الرسم العثماني كان يمثل مرحلة من مراحل الكتابة العربية ، حمل خصائص تلك المرحلة ، وهو يمثلها خير تمثيل ، وما املاؤنا اليوم إلا امتداد للرسم في معظم خصائصه . ويكفي ان اذكر ان حذف الالف المتوسطة من بعض الكلمات، وزيادة الألف بعد واو الجماعة في آخر الفعل ؛ ورسم الالف ياء في آخر الكلمات اليائية الاصل وغير الثلاثية ، وزيادة الواو في اولئك واخواتها كل ذلك منحدر الى كتابتنا من رسم المصحف .

واختم هذا البحث بالتنبيه على امر مهم هو عناية الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بكتابة القرآن في المصحف ، وتدقيقهم في صور الكلمات حتى تكون دقيقة بقدر ما كانت تسمح قواعد الإملاء المستخدم في زمانهم ، وكان لهم في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسوة ، فانه كان اذا املى شيئا من القرآن على كاتب الوحي زيد بن ثابت ، وفرغ من كتابته زيد ، قال له رسول الله: اقراه ، فيقراه زيد ، فان كان فيه سقط اقامه واصلحه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ونقل الطبري في تفسيره روايتين تكشفان عن جانب من الجهد الكبير الذي بذله الصحابة في نسخ المصاحف منقولتين عن ابي سعيد هانىء البربري الدمشقي مولى امير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ :

جاء في الرواية الاولى ان هانئا قال : كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت ، فقال زيد : سله عن قوله : (لم يتسنن) او (لم يتنه) (البقرة ٢٥٩) ، فقال عثمان : اجعلوا فيها هاء .

وجاء في الرواية الثانية ان هانئا قال : كنت عند عثمان ، وهم يعرضون المصاحف ، فارسلني بكتف شاة الى ابي بن كعب ، فيها (لم يتسنن)، و (فامهل الكافرين) ، و (لا تبديل للخلق) ، قال : فدعا ابي بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب (لا تبديل لخلق الله) (الروم ٣٠) ، ومحا (فامهل) وكتب (فمهل الكافرين) (الطارق ١٧) . وكتب (لم يتسنه) (البقرة ٢٥٩) الحق فيها الهاء(٨٦).

إن من الحقائق الكبرى التي قد تغيب عن نظر الكثيرين ان تدوين القرآن بالكتابة العربية قد نقلها من كتابة محدودة فقيرة في موضوعاتها الى كتابة تشرفت بحفظ اعظم كتاب ، وكانت بسبب ذلك الكتابة المعبرة عن الحضارة الاسلامية، كما استخدمتها شعوب إسلامية كثيرة في تدوين لغاتها . فحقق ذلك للكتابة العربية فرصة كبيرة تولى فيها العلماء صيانتها وضبطها وتيسيرها ، منذ كتابة القرآن بها الى وقتنا الحاضر .

---

(٨٦) جامع البيان ٣/٢٧ ـ ٢٨ .

المصـــادر

١ ـ ابراهيم جمعة (دكتور) : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٩ .

٢ ـ ابن الاثير (ابو الحسن علي بن محمد) : الكامل في التاريخ ، الطبعة المنيرية ، القاهرة .

٣ ـ احمد بن حنبل : المسند ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م .

٤ ـ اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، دار القلم بيروت ١٩٨٠م .

٥ ـ البخاري (محمد بن اسماعيل) : الجامع الصحيح . محمد علي صبيح ، القاهرة .

٦ ـ البسوي (يعقوب بن سفيان) : المعرفة والتاريخ ، تحقيق د . اكرم ضياء العمري ، مطبعة الارشاد . بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

٧ ـ بلاشير : تاريخ الادب العربي ، ج١ ، تعريب ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٥٦م .

٨ ـ جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٠ .

٩ ـ ابن حجر (احمد بن علي) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٠هـ .

١٠ـ حسن محمد الهواري : القدم اثر اسلامي ، مجلة الهلال المصرية السنة ٣٨ ، ج١٠ سنة ١٩٣٠ .

١١ـ ابن خلدون (عبدالرحمن) : العبر وديوان المبتدا والخبر ، بيروت ١٩٥٦ .

١٢ـ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، دمشق ١٩٦٧ .

١٣ـ خليليحيى نامي : اصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام ، مجلة كلية الاداب في الجامعة المصرية مج٢ ج١ سنة ١٩٣٥ .

١٤ـ الداني (ابو عمرو عثمان بن سعيد) : المحكم في نقط المصاحف ، تحقيق د . عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ .

١٥ـ الداني (السابق) : المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار . تحقيق محمد احمد دهمان ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م .

١٦ـ ابن درستويه (عبدالله بن جعفر) : كتاب الكتاب ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي ود . عبدالحسين الفتلي ، الكويت ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

١٧ـ ابن ابي داود (عبدالله بن سليمان) : كتاب المصاحف ، ط ١ ، القاهرة ١٩٣٦م .

١٨ـ رمزي بعلبكي (دكتور) : الكتابة العربية والسامية ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ١٩٨١م .

١٩ـ زاكية محمد رشدي (دكتورة) : النقوش السامية (القسم الثاني) مجلة كلية الاداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ مج ٢٩ ج ١ـ٢ .

٢٠ـ الزركشي (محمد بن عبدالله) : البرهان في علوم القرآن ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٢م .

٢١ـ السمعاني (عبدالكريم بن محمد) : ادب الاملاء والاستملاء ، ليدن ١٩٧٠م .

٢٢ـ سهيلة ياسين الجبوري : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ١٩٧٧م .

٢٣ـ السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر) : الاتقان في علوم القرآن ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢٤ـ السيوطي (السابق) : همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ، طبعة الخانجي بمصر ١٣٢٧هـ .

٢٥ـ ابو شامة (عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي) : الرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، بيروت ١٩٧٥م.

٢٦ـ صلاح الدين المنجد (دكتور) : دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٢م .

٢٧ـ الصولي (محمد بن يحيى) : ادب الكتاب ، القاهرة ١٩٤١م .

٢٨ـ الطبري (محمد بن جرير) : جامع البيان عن تاويل آي القرآن ، ط ٣ الحلبي ، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

٢٩ـ ابن عبدالبر (ابو عمر يوسف بن عبدالله) : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، القاهرة ١٩٦٠ .

٣٠ـ عز الدين الصندوق : حجر حفنة الابيض ، مجلة سومر ١٩٥٥ مج ١١ ـ ج ٢ .

٣٣- غانم قدوري الحمد : رسم المصحف ، دراسة لغوية تاريخية ، ط ١ ، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري بغداد ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

٣٤- الفراء (يحيى بن زياد) : معاني القرآن ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢م .

٣٥- القلقشندي (احمد بن علي) : صبح الاعشى في كتابه الانشا ، دار الكتب الخديوية القاهرة ١٩١٣ .

٣٦- محمد حسين هيكل (دكتور) : الصديق ابو بكر ، ط ٥ ، القاهرة ١٩٦٤ .

٣٥- ابن منظور (محمد بن مكرم) : لسان العرب ، طبعة بولاق .

٣٦- المهدوي (أحمد بن عمار) : كتاب هجاء مصاحف الامصار ، تحقيق محيي الدين عبدالرحمن رمضان ، مجلةمعهد المخطوطات العربية ، مج ١٩ ج ١ ، القاهرة ١٩٧٣ .

٣٧- ناصر النقشبندي : منشا الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين ، مجلة سومر مج ٣ - ج ١ بغداد ١٩٤٧م .

٣٨- ابن النديم (محمد بن اسحاق) : الفهرست تحقيق : رضا - تجدد ، طهران ١٩٧١ .

٣٩- نصر الهوريني : المطالع النصرية للمطابع المصرية في الاصول الخطية ط ٢ ، بولاق ١٩٠٢هـ .

٤٠- ابن وثيق (ابراهيم بن محمد الاندلسي) : رسالة في رسم المصحف ، مكتبة شهيد علي رقم ٢٧٦ . ومنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة .

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة :

* نفاضة الجراب في علالة الاغتراب -
تاليف : لسان الدين بن الخطيب

* الموازنة بين ابي تمام والبحتري للآمدي -
تحليل ودراسة قاسم مومني

* فكر ابن خلدون - العصبية والدولة -
د . محمد جابر العابدي